العنوان

مكانة الموطأ الحديثية والفقهية وأثره في تثبيت المرجعية الفقهية في الجزائر

مداخلة موجهة للملتقى الوطني الموسوم بـ : " **عناية الجزائريين بـ : " موطأ الإمام مالك " ــ التاريخ الامتداد الآفاق ــ** "، المنظم من قبل كلية أصول الدين، بالاشترك مع مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية، يومي الاربعاء والخميس، 07 و08 ماي 2025 م، بقاعة المحاضرات، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة .

Title

The Hadith and Jurisprudential Status of Al-Muwatta' and Its Impact on Establishing Jurisprudential Authority in Algeria

الأستاذ الدكتور : نصر سلمان

عضو مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

وأستاذ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

الملخص

يتناول هذا الموضوع الغوص في الأسباب، والمرتكزات التي انبنت عليها المكانة السامقة، التي احتلها كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، في مجالي الحديث والفقه، وكيفية تلقي الجزائريين له بالقبول والترحاب، مع بيان أثره في ترسيخ المرجعية الفقهية في الجزائر، وذلك انطلاقا من كونه المؤلف العمدة، والكتاب الإمام، والمرجع الأساس في استنباط الفروع الفقهية، والتقعيد لأصول المذهب المالكي .

Abstract

This topic delves into the reasons and foundations upon which the lofty status of Imam Malik ibn Anas's book, Al-Muwatta, in the fields of hadith and jurisprudence was built. It also examines how Algerians welcomed and accepted it, while highlighting its impact on consolidating the authority of jurisprudence in Algeria. This is based on its status as the primary author, the leading book, and the primary reference for deriving the branches of jurisprudence and establishing the principles of the Maliki school.

الكلمات المفتاحية : الموطأ، الحديثية، الفقهية، المرجعية الفقهية، الجزائر.

Keywords: Al-Muwatta, Hadith, Jurisprudence, Jurisprudential Reference, Algeria.

لقد كان الإمام مالك رحمه الله مصنِّف الموطأ مُعظِّما لمقام النبوة، فكان رحمه الله لا يركب في مدينة رسول الله رغم بلوغه سن الشيخوخة، وضعف قواه الجسدية، ولسان حاله يردّد : " أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ." [1]، كما أنه كان لا يروي حديث رسول الله ماشيا، وإنما يرويه في حالة طمأنينة[2]، هذا ومن شدة توقيره لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كما روى عبد الله بن المبارك حيث قال : " كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ، فلدغته عقرب بست عشرة مرة، ومالك يتغير لونه ويصفرّ ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت: «يا أبا عبد الله، لقد رأيت اليوم منك عجباً؟»، فقال: «نعم، إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ " [3]، كما كان له المقام الفقهي الأرفع والأسمى لدرجة أنه إذا أدلى بدلوه فيه لم يستطع أحد مراجعته في ذلك، حتى قيل فيه :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة والسّائلون نواكس الأذقان

---

[1] عاصم بشير ضيف بن أبي بكر المالكي الجزائري : المدخل إلى موطأ مالك بن أنس، 94 .

[2] السيوطي : تنوير الحوالك 1 / 6 .

[3] عاصم بشير ضيف بن أبي بكر المالكي الجزائري : المدخل إلى موطأ مالك بن أنس، 25 .

أدب الوقار وعزّ سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان [4]

كما كانت له مكانة اجتماعية سامية بعد تحصيله العلمي الغزير، حيث يقول زميله في الطلب أنس بن عياض : " جالست ربيعة، ومالكٌ يومئذ معنا، ولا يُعرف إلا بمالك أخو النضر، ثم ما زال حرصه في طلب العلم حتى صرنا نقول : النضر أخو مالك . "[5] .

بعد هذه التقدمة سنخوض أغوار هذه المداخلة عبر ثلاث نقاط أساسية نوردها على النحو الآتي :

أولا ـ مكانة الموطأ الحديثية

وتتجلى هذه المكانة من خلال الأسباب الآتية :

1 ـ منزلة الموطأ بين كتب السنة الجياد

أ ـ قال القاضي أبو بكر بن العربي : " الموطأ هو الأصل الأول واللباب، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي "[6] .

ب ـ وقال أبو زرعة : " لو حلف رجل بالطلاق على الأحاديث التي في الموطأ إنها صحاح كلها لم يحنث، ولو حلف على حديث غيره كان حانثا "[7] .

---

[4] محمد بن محمد سكحال : كتاب الموطأ وأهميته بين مصادر المذاهب الفقهية، 233 وهو موضوع ضمن كتاب بعنوان : المذهب المالكي في المغرب ـ من الموطأ إلى المدونة ـ 226 .

[5] القاضي عياض : ترتيب المدارك، 1 / 119 .

[6] السيوطي : الإمام مالك وعمله بالحديث من خلال كتابه الموطأ، 183 .

[7] ابن عساكر : كشف المغطا في فضل الموطأ 55، وابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 73 .

ج ـ وذهب الشاه ولي الله الدهلوي إلى أن كتاب الموطأ ينبغي تصنيفه مع المرتبة الأولى مع كتابي الصحيحين [8].

د ـ **وقال الشافعي** :" ما على الأرض بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك بن أنس "[9].

2 ـ اهتمام الناس بالموطأ تبعا لسمو مكانته

ويتجلى ذلك من خلال **شروحه ومختصراته** إذ وضع الله القبول لموطئه، فاعتنى العلماء به من جهة إسناده ومتونه، فتطرقوا لمسنده، ومنقطعه ومرسله، وشواهده، وزياداته، وغريبه، واختلاف رواياته[10] .

3 ـ وثاقة مروياته وثناء العلماء عليه

أ ـ تمسك الإمام البخاري بأحاديثه : إن الإمام البخاري لا يعدل عن أحاديث مالك لغيرها حتى ولو اضطرّه ذلك لنزول السند، ومن ذلك ما صنعه في صحيحه حيث روى فيه : عن عبد الله بن محمد بن أسماء عن عمه جويرة بن أسماء عن مالك، أي روى بواسطتين بينه وبين مالك، رغم ما للعلو من شأن عند المحدثين [11].

ب ـ توثيق أئمة الجرح والتعديل للرواة بمجرد رواية الإمام مالك عنهم : ومن ذلك **قول ابن الأعرابي** : "كان يحي بن معين يوثق الرجل لرواية مالك عنه، سئل عن غير واحد فقال : ثقة روى عنه مالك " [12] .

وقال الإمام أحمد : " كان مالك بن أنس من أثبت الناس في الحديث، ولا تبال أن لا تسأل عن رجل روى عنه مالك بن أنس، ولا سيما مديني "[13]،كما سئل الإمام أحمد عن حديث جعفر بن محمد فقال : " ما أقول فيه، وقد روى عنه مالك "، وسئل كذلك عن عمرو بن أبي عمرو، مولى المطلب، فقال : " ليس

---

[8] محمد الدردابي : كتاب الموطأ وأهميته بين مصادر المذاهب الفقهية، وهو موضوع ضمن كتاب بعنوان : المذهب المالكي في المغرب ـ من الموطأ إلى المدونة ـ 121 .

[9] ابن عساكر : كشف المغطا في فضل الموطأ، 11 .

[10] نصر سلمان : المدخل لمصطلح الحديث، 159 ـ 164 .

[11] الشيخ ابن عاشور : تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة ، 87 .

[12] السيوطي : إسعاف المبطأ برجال الموطأ، 768، وطاهر الجزائري : توجيه النظر إلى أصول الأثر، 1 / 139 .

[13] ابن أبي حاتم : مقدمة الجرح والتعديل، 17، وأكرم ضياء العمري : مقدمة المعرفة والتاريخ، 17،

به بأس روى عنه مالك " [14]،وسأل بشر بن عمر الزهراني الإمام مالكا عن رجل، فقال : " هل رأيته في كتبي ؟، قال : لا، قال : لو كان ثقة لرأيته في كتبي " [15].

ج ـ أقوال الأئمة الأعلام في الثناء على الموطأ : ومن ذلك وعلى سبيل التمثيل قول الإمام الشافعي رحمه الله : " ما في الأرض بعد كتاب الله، كتاب أكثر صوابا من موطأ مالك بن أنس "[16]، وقال عبد الرحمن بن مهدي : " ما نعرف كتابا في الإسلام بعد كتاب الله عز وجل أصح من موطأ مالك . " [17].

4 ـ تشدّده في قبول المرويات

أ ـ التشدد في الشروط الواجب توفرها في الراوي : قال الإمام مالك : " لا يؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ من سواهم : 1 . لا يؤخذ من سفيه. 2 . ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته. 3 . ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم .. 4 . ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به"[18].

ب ــ طرحه الحديث لمجرّد الشك : كان الإمام مالك إذا شك في بعض الحديث تركه كله [19]، وقال عتيق الزبيري : " وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر في كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا، ولو بقي قليلا لأسقطه كله "[20]، وقال القطان : "كان علم الناس في زيادة وعلم مالك في نقصان، ولو عاش مالك لأسقط علمه كله " [21].

---

[14] القاضي عياض : ترتيب المدارك، 1 / 137 .
[15] مسلم : مقدمة الجامع الصحيح، 1 / 18 .
[16] ابن عبد البر : التمهيد، 1 / 76 ـ 77 .
[17] الذهبي : سير أعلام النبلاء، 9 / 205 .
[18] ابن عبد البر : الانتقاء، 16 .
[19] ابن أبي حاتم : آداب الشافعي ومناقبه، 199 .
[20] القاضي عياض : ترتيب المدارك، 2 / 73 .
[21] المصدر نفسه، 2 / 73 .

ج ــ طرحه الرواية عن أهل بلد بأسره لمجرد شكه في وثاقتهم : ومن ذلك لما قيل له : لم لا تحدث عن أهل العراق، قال :" لأني رأيتهم إذا جاءونا يأخذون الحديث من غير ثقة، فقلت: إنهم كذلك في بلادهم" [22].

د ـ عدم أخذه عمن خف ضبطهم وإتقانهم : قال الإمام مالك رحمه الله : " لقد أدركت سبعين ممن يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند هذه الأساطين، وأشار إلى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، وقدم علينا ابن شهاب، فكنا نزدحم على بابه " [23].

5 ــ شدة التحرّي في الرواية

أ ـ تكرار المراجعة لمن روى عنه قصد التيقن من ضبطه : قال مالك : " أتيت زيد بن أسلم، فسمعت حديث عمر : " أنه حمل على فرس في سبيل الله "، فاختلفت إليه أياما أسأله عنه، فيحدثني لعله يدخله شك أو معنى، فأترك لأنه كان ممن شغله الزهد عن الحديث "[24] . فيه

ب ـ طول مدة مراجعة الموطأ قصد التحرّي والتدقيق : وفي ذلك أنشد محمد حبيب الله الشنقيطي مبينا أنه بقي أربعين وقيل ستين سنة وهو يراجعه وينقحه، فقال :

والزمن الذي به قد أُلِّفا موطّأ الإمام فيه اختلفا

فقيل عنه أربعون عاما وقيل ستون ترى تماما [25] .

6 ــ تحليه بميزات تضفي عليه هالة من التميز والتقدم عند أهل الفن الحديثي

---

[22] نصر سلمان : المدخل لمصطلح الحديث، 158 .

[23] ابن عبد البر : الانتقاء، 15 ـ 16، وابن عبد البر : التمهيد، 1 / 76 .

[24] القاضي عياض : ترتيب المدارك، 1 / 124 .

[25] المصدر نفسه ، 2 / 75 .

أ ــ علو سند أحاديثه : إذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أزيد من مائة حديث من موطّئه راويان فقط، وهو سند في قمة العلو [26]، ويبرز ذلك جليا في أحاديثه عن سبعة من الصحابة رضوان الله عليهم، وهم [27]:

ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما :

ـ مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر .

ـ مالك عن عبد الله بن جبير بن عتيك عن ابن عمر .

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

ـ مالك عن ابن شهاب عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ مالك عن إسحاق بن أبي طلحة عن أنس بن مالك .

ـ مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك .

ـ مالك عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك .

ـ مالك عن محمد بن أبي بكر الثقفي عن أنس بن مالك .

ـ مالك عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك .

ـ عن سهل بن سعد رضي الله عنه :

ـ مالك عن ابن شهاب عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ مالك عن ابن أبي حازم بن دينار عن سهل نبن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما :

---

[26] محمد الطاهر الرزقي : قراءات في مجتمع المدينة المنورة من خلال الموطأ، 42 ـ 43 .

[27] عاصم بشير ضيف بن أبي بكر المالكي الجزائري : المدخل إلى موطأ مالك بن أنس، 106 ـ 107 .

ـ مالك عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ مالك عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله .

ـ مالك عن محمد بن المنذر عن جابر بن عبد الله .

ـ عن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه :

ـ مالك عن سعيد المقبري عن أبي شريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه :

ـ مالك عن نافع عن أبي سعيد الخدري .

ـ عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ـ مالك عن وهب بن كيسان عن عمر بن أبي سلمة .

ب ــ الحكم على بعض أسانيده بالصحة وسلاسل الذهب : وذلك مثلما صرح به الإمام البخاري بأن أصح الأسانيد على الإطلاق : مالك عن نافع عن ابن عمر ، والتي يسمونها سلسلة الذهب[28]،كما ذهب غيره إلى أن من أصح الأسانيد ما يرويه مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أو عن ابن شهاب عن سالم عن عبد الله بن عمر [29].

ج ــ كثرة رواة الموطأ دلالة على مكانته وقبوله العلمي والمجتمعي : لقد حاول القاضي عياض رحمه الله إحصاء الرواة عن مالك، فأوصلهم إلى ألف وثلاثمائة راو ونيف [30].

د ـ أن جلّ رواته مدنيون : وهم ممن خبرهم وعايشهم وعرف وثاقتهم وأحوالهم، وقلة قليلة ممن روى عنهم من غير أهل المدينة، وهم أبو الزبير المكي (8 أحاديث)، وحميد الطويل البصري (6 أحاديث)، وأبو أيوب السختياني البصري (4 أحاديث)، وعطاء بن عبد الله الخراساني، وعبد الكريم بن أبي المخارق (

---

[28] الحاكم النيسابوري : معرفة علوم الحديث، 53 .

[29] القاضي عياض : ترتيب المدارك، 1 / 136 .

[30] المصدر نفسه ، 2 / 170 .

حديث واحد)، وإبراهيم بن عبلة الشامي (حديث واحد) [31]،ولا شك أن هذا العدد من غير المدنيين لا يؤثر على تلك الثروة الحديثية الضخمة المبثوثة في الموطأ، هذا فضلا عن أن أصح طرق السنن ما يرويه أهل مكة والمدينة، وذلك لندرة التدليس، وقلة الكذب أو الوضع في رواياتهم[32].

هـ ــ تنقية مروياته من الغرائب ومرويات أهل البدع : ويتجلى ذلك من خلال حرصه على سلامة المتن، والذي يظهر في نفوره من الأحاديث الغريبة، وقد قيل للإمام مالك : إن فلانا يحدثنا بغرائب فقال :" إنا من الغريب نُفر"، كما أنه إذا قيل له إن هذا الحديث لم يحدث به غيرك تركه، وإذا قيل له إن هذا حديث يحتج به أهل البدع تركه [33].

و ــ شهادة فطاحلة علماء عصره لموطئه بقصب السبق وعلو المقام : قال الإمام مالك : " عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه، فسميته الموطأ . " [34].

ز ــ الاستئناس برؤيا مالك للنبي في المنام للاستدلال على مكانة الموطأ :

ومالك رأى النّبي في النّوم فقال وطّئ شرعتي لقومي

فبالإشارة سُمّاهُ أعطى من أجل ذا سمّاه بالموطّأ

وكان قبل متفكّرا بما يجعل في الوقت عليه عَلَمَا [35] .

ح ـ رحلة الملوك لسماع الموطأ دلالة قوية على مكانته السامية وعزة نفس مالك الذي رفض أن يقف العلم عند أبواب الأمراء والسلاطين : وقد أرّخ لذلك الشنقيطي فقال :

فمنهم المنصور والمهديّ ثم الرشيد الملك المرضيّ

---

[31] عاصم بشير ضيف بن أبي بكر المالكي الجزائري : المدخل إلى موطأ مالك بن أنس، 75.

[32] الخطيب البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، 2 / 286 .

[33] نصر سلمان : المدخل لمصطلح الحديث، 158 .

[34] السيوطي : تنوير الحوالك، 1 / 7 .

[35] محمد حبيب الله بن مايابى الجكنى الشنقيطي : دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك، 41 .

ثم ابنه المأمون والأمين وغيرهم إذْ مالكٌ أمين [36] .

وإن في موقف الإمام مالك المتمثل في أن العلم هو الذي يؤتى إليه إعزاز وتوقير لمقام العلم الرفيع وتجسيد لأبيات أبي شجاع الجرجاني حيث قال :

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدُم من لاقيت لكن لأُخدَما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلّة إذًا فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لَعَظَّمَا [37] .

ثانيا ـ مكانة الموطأ الفقهية

وتبرز هذه المكانة الفقهية من خلال المرتكزات الآتية :

1 ـ أن مدار الفتوى فيه مستمدة من علم كبار فقهاء الصحابة وعلماء التابعين .

لقد كانت الفتاوى المبثوثة في كتابه الموطأ مستمدة من علم فطاحل الصحابة رضي الله عنهم، من أمثال : عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، ثم من تلاميذهم المشهود لهم بالعلم من التابعين من أمثال فقهاء المدينة السبعة، مما يجعل فتاواه فيه قمينة بالمصداقية والقبول، كيف لا وهؤلاء هم الذين كانوا قطب الرحى وأس البناء في مجال الفقه الإسلامي [38].

2 ـ بناء أحكامه وفروعه الفقهية على الاعتدال والوسطية .

ومما يؤكد ذلك المنهج الذي سلكه الإمام مالك رحمه الله في تصنيف موطئه بناء على نصيحة من أبي جعفر المنصور والتي جاء فيها : " يا أبا عبد الله، ضع هذا العلم ودوّنه، ودوّن منه كتبا، وتجنب شدائد عبد الله

---

[36] ابن فرحون : الديباج المذهب، 347 .

[37] ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم، 17 .

[38] عاصم بشير ضيف بن أبي بكر المالكي الجزائري : المدخل إلى موطأ مالك بن أنس، 35، ومحمد بن علوي المالكي الحسني : فضل الموطأ وعناية الأمة الإسلامية به، 56 .

بن عمر، ورخص عبد الله بن عباس، وشواذ مسعود، واقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك، ونبثها في الأمصار، ونعهد إليهم أن لا يخالفوها، ولا يقضوا بسواها [39] . " .

3 ـ التزامه الواقعية في أحكام الموطأ وابتعاده عن الفقه الافتراضي فيه .

إن من مميزات فقه مالك داخل الموطأ أو خارجه أنه لا يقوم على الافتراض، بل هو مبني على الواقعية، إذ لم يكن يجيب السائلين عن مسائلهم التي لم تحدث بعد، كما هو الشأن في الفقه الحنفي، وكان شعاره في ذلك : " إنما كان الناس يفتون بما سمعوا وعلموا ... "[40]، ومتمسكه الاتباع لقول ابن عمر شيخ شيخه نافع الذي كان يردّد : " لا تسأل عما لم يكن، فإني سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يلعن من سأل عما لم يكن ... " [41].

4 ـ غزارة المسائل الفقهية المبثوثة في بعض روايات الموطأ .

إن المتأمل بإمعان لرواية الموطأ لأبي مصعب الزهري المدني عن مالك يجدها مشبعة بآراء الإمام مالك وفتاويه، مما يجعل المقبلين على الزاد الفقهي يهرعون للاهتمام بالموطأ ومدارسته، حيث بلغت المسائل الفقهية الواردة فيه زهاء ثلاثة آلاف مسألة، دونها أبو مصعب من في مالك أثناء مدارسته للموطأ وضمنها نسخته، مما يعطي الموطأ مكانة متميزة في عرض الفروع وجودة الاستنباط[42] .

5 ـ قيمة الموطأ الفقهية عند أرباب الفروع .

لقد بلغ الاحتفاء بموطأ مالك شأوه حتى اعتبروه مغنيا عمن سواه في مجالات الأحكام، ومما يؤيد ذلك قول ابن وهب رحمه الله : " من كتب موطأ مالك، فلا عليه ألا يكتب من الحلال والحرام شيئا . "[43] .

6 ـ اشتمال الموطأ على رؤوس مسائل الأحكام الفقهية .

---

[39] الزرقاني : شرح الموطأ، 1 / 43 .

[40] ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله، 2 / 1066 .

[41] ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله، 2 / 1055 .

[42] الكتاني : الرسالة المستطرفة، 13، ومحمد بن يحي مبروك : الإمام مالك وعلمه بالحديث من خلال كتابه الموطأ، 278 .

[43] ابن عساكر : كشف المغطا في فضل الموطأ، 13 .

إن مسائل الأحكام ورؤوسها، وإن لم يستوعبها الموطأ كاملة إلا أن غررها ومشاهيرها لا تكاد تفوته، فكان يجمع أدلتها في عقد منتظم أيما انتظام ، وللتمثيل على ذلك صنيعه في مسائل سجود السهو التي أورد فيها أحاديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين في التسليم من ركعتين في إحدى صلاة الظهرين وفيه البعدي، وحديث عبد الله بن بحينة في القيام من اثنتين دون الجلوس للتشهد وفيه القبلي، مع الاكتفاء بذكر الحكم الوارد في حديث ابن مسعود دون إيراده، ومفاده : أن من قام إلى خامسة فليرجع متى ذكر فيجلس ويسلم ويأتي بالبعدي ، وبهذا يكون موطأ الإمام مالك قد انتظم كل رؤوس المسألة، وهذا ديدنه وصنيعه في سائر المسائل[44] .

7 ـ اشتمال الموطأ على بذور مسائل أصول الفقه .

إن المتأمل لموطأ الإمام مالك يلمس فيه تلك البذور الأولى لمسائل علم الأصول فيه، ومن ذلك استخدامه القياس في تحديد أقل مقدار المهر الذي قاسه على القدر الذي تقطع فيه يد السارق حيث قال : " لا أرى أن تنكح المرأة بأقل من ربع دينار، وذلك أدنى ما يجب فيه القطع "، واستخدامه لسدّ الذرائع في أحاديث الربا، حيث قال : " فإنه يخاف في ذلك الذريعة إلى إحلال ما لا يحل . " واستخدامه الاستحسان في أن الجائع الذي يخشى على نفسه الهلاك والذي وجد زرع غيره وميتة فإنه إن خشي إن أكل من الزرع الاتهام بالسرقة أكل من الميتة وذلك خير له وهو عين الاستحسان، وهذه أمثلة للتنبيه بها على صنيعه الأصولي، أما استخدامه لعمل أهل المدينة فقد كان فيه الموطأ مهيعا لذلك[45].

8 ـ احتلاله للمركز الأول كمرجع في المذهب المالكي .

قال الإمام ابن رشد الجد رحمه الله في معرض حديثه عن المدونة : " وهى مقدمة ـ أي المدونة ـ على غيرها من الدواوين بعد موطأ مالك رحمه الله، يروى أنه ما بعد كتاب الله كتاب أصح من موطأ مالك، ولا بعد الموطأ ديوان أفيد من المدونة . " [46].

---

[44] محمد بن محمد سكحال : كتاب الموطأ وأهميته بين مصادر المذاهب الفقهية، 233 وهو موضوع ضمن كتاب بعنوان : المذهب المالكي في المغرب ـ من الموطأ إلى المدونة ـ 121 .

[45] محمد الطاهر الرزقي : قراءات في مجتمع المدينة من خلال الموطأ، 60 ـ 63 .

[46] المقدمات الممهدات، 1 / 40 .

ثالثا ـ مكانة الموطأ في تثبيت المرجعية الدينية في الجزائر

إن لموطأ الإمام مالك المقام الأسمى في نفوس الجزائريين وللدلالة على ذلك :

أ ـ ترسيم قراءته سنويا في جل مساجد الجزائر، وذلك ابتداء من بداية الأسبوع الأول من شهر رجب ليختم في ليلة السابع والعشرين من رمضان في احتفالات بهيجة تليق بمقام السنة النبوية المطهرة .

ب ـ ربط الأجيال الصاعدة به، ومن ذلك انتقاء وزارة الشؤون الدينية مشكورة مأجورة خمسين حديثا منه والإدلاف بها للمدارس القرآنية، ليدرس بعضها للأجيال الصاعدة، ولتعتمد أيضا في المسابقات الحديثية رواية ودراية شأنها في ذلك شأن الأربعين النووية وأضرابها من المصنفات التي كتب الله لها القبول .

ج ـ تمسك الشعب الجزائري بالموطأ انطلاقا من تشبثه بمذهبه المالكي، والذي يعدّ الموطأ عمدة أحكامه، وذروة سنامه، ونخاعه الشوكي، ومورده الأول في استنباط الأحكام العملية .

د ــ شرح الموطأ في كثير من مساجد الجمهورية، والتي يأتي على رأسها تلك الجهود الجبارة التي يبذلها مقرئ الجزائر ومحدّثها البروفيسور الألمعي اللوذعي الشيخ بوبكر كافي في خدمة الموطأ وتدريسه وطباعة بعض ما شرح من كتبه كشرح كتاب الصيام .

هـ ـ الاهتمام الأكاديمي بهذا الكتاب العظيم، والذي أنجزت حوله عشرات الرسائل الجامعية في بلدنا الحبيب، بل وفي هذه الجامعة بالذات والتي منها :

أ ـ أكني، هند : مراعاة المقاصد الشرعية في فهم السنة النبوية : دراسة في أحاديث المعاملات من الموطأ والصحيحين والسنن الأربعة .

ب ـ ابن حمدى، أحمد كورى بن الشيخ : مراسيل الموطأ : دراسة وتحقيق .

ج ـ دداش، سعد الدين : استخراج القواعد الأصولية من الموطأ .

د ـ قاسم، فاطمة : منهج الإمام مالك في الاستدلال بآثار الصحابة والتابعين في بيانه للسنة النبوية : – من خلال كتابه الموطأ – .

هـ ـ خنيش وليد : بلاغة الحديث النبوي الشريف : دراسة تطبيقية في موطأ مالك .

و ـ لقيقط سلاف: سؤالات الصحابيات – رضي الله عنهن – للرسول صلى الله عليه وسلم : جمعا ودراسة من خلال الموطأ والكتب الستة .

ز ـ فيلالي، فضيلة : التطبيقات الفقهية لعمل أهل المدينة من خلال الموطأ : الأحوال الشخصية نموذجا .

ح ـ بونعاس، حمزة : المسائل التي تراجع عنها الإمام مالك في بابي العبادات والمعاملات من خلال الموطأ والمدونة .

ط ـ بوقطاية، محمد : منهج الترجيح الفقهي عند أبي بكر ابن العربي من خلال كتابه * المسالك في شرح موطأ مالك .

الخاتمة : بعد تجليتنا لمكانة الموطأ الحديثية والفقهية وأثره في ترسيخ أسس المرجعية في الجزائر، وذلك من خلال إبراز المرتكزات الصلبة التي بوأته هذه المكانة، نحسب أننا أمطنا اللثام عن بعض جوانب هذه المكانة، سائلين الله لملتقاكم التوفيق والسداد، وللقائمين عليه النجاح والرشاد .

هذا وأستسمح فضيلتكم بأن أختتم مداخلتي هذه بما دبّجه يراع سعدون الورجيني في الموطأ حيث يقول : [47]

أقول لمن يروي الحديث ويكتب ... ويسلك سُبْل الفقه فيه ويطلب

إنَ أحببت أن تدعى لدى الخلق عالما ... فلا تعد ما تحوي من العلم يثرب

أتترك دارًا كان بين بيوتها ... يروح ويغدو جبرائيل المقرب

ومات رسول الله فيها وبعده ... بسنّته أصحابه قد تأدبوا

وفُرّق شمل العلم في تابعيهمو ... فكل امرئ منهم له فيه مذهب

فخلّصه بالسبك للناس مالك ... ومنه صحيح في المِجَس وأجرب

فبادر موطا مالكٍ قبل فوته ... فما بعده إن فات للحق مطلب

ودع للموطّا كل علم تريده ... فإن الموطّا الشمسُ والغير كوكب

[47] ابن فرحون : الديباج المذهب، 26 .

ومن لم يكن كُتْبُ الموطّا ببيته ... فذاك من التوفيق بيت مخيّب

جزى الله عنا في موطّاه مالكا ... بأفضل ما يُجزى اللبيب المهذّب .

قائمة المصادر والمراجع

السيوطي : أبو بكر جلال الدين :

ـ تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، ط : 1، 1433 هـ / 2012 م، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان .

ـ إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ط : 1، 1433 هـ / 2012 م، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان .

عاصم بشير ضيف بن أبي بكر المالكي الجزائري :

المدخل إلى موطأ مالك بن أنس، ط : 1، دار ابن حزم بيروت، لبنان .

سكحال محمد بن محمد :

كتاب الموطأ وأهميته بين مصادر المذاهب الفقهية، 233 وهو موضوع ضمن كتاب بعنوان : المذهب المالكي في المغرب ـ من الموطأ إلى المدونة ـ، ط : 1، 1431 هـ / 2010 م المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات، فاس، والمؤسسة العلمية الكتانية، الرباط، المملكة المغربية .

عياض القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي :

ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، ط: 1967 م، تحقيق : أحمد بكير، بيروت، لبنان .

مبروك محمد بن يحيى:

الإمام مالك وعمله بالحديث من خلال كتابه الموطأ، ط : 1، 1430 هـ / 2010 م، دار ابن حزم بيروت، لبنان .

ابن عساكر علي بن الحسن :

ـ كشف المغطا في فضل الموطأ، "ط : ؟، 1419 هـ / 1999 م، تحقيق : محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، جمهورية مصر العربية .

ابن فرحون : المدني :

ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط: 1974 م، تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور القاهرة، مصر .

الدردابي محمد :

كتاب الموطأ وأهميته بين مصادر المذاهب الفقهية، وهو موضوع ضمن كتاب بعنوان : المذهب المالكي في المغرب ـ من الموطأ إلى المدونة ـ ط : 1، 1431 هـ / 2010 م، المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات، فاس، والمؤسسة العلمية الكتانية، الرباط، المملكة المغربية .

نصر سلمان :

ـ المدخل لمصطلح الحديث، ط : 1، 1432 هـ / 2011 م، دار ابن حزم بيروت، لبنان .

محمد الطاهر ابن عاشور :

ـ تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، ط : 1، 1429هـ / 2008 م، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر .

طاهر الجزائري :

ـ توجيه النظر إلى أصول الأثر، ط : **1**، 1416هـ / 1995م، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب ، الجمهورية العربية السورية .

ابن أبي حاتم : عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي :

ـ مقدمة الجرح والتعديل، ط: 1 / 1372 هـ / 1952 م، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر أباد الدكن الهند .

ـ آداب الشافعي ومناقبه، ط: ؟ / 1373 هـ / 1953 م، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق، دار السعادة، جمهورية مصر العربية .

أكرم ضياء العمري :

ـ مقدمة المعرفة والتاريخ، **لأ**بي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧ هـ) رواية: عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، ط : 1، 1393 هـ - 1974 م تحقيق : **أكرم ضياء العمري**، مطبعة الإرشاد – بغداد، الجمهورية العراقية .

مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري :

ـ مقدمة الجامع الصحيح، ط: سنة 1374هـ/1954م، مراجعة : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان.

ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري :

ـ التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد. ط : 1، تحقيق : سعيد أحمد أعراب ومجموعة أخرى من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية .

ـ الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء، ط : ؟، 1400 هـ / 1980م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

ـ جامع بيان العلم وفضله، ط : 3، 1418هـ / 1997م، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية .

الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان :

ـ سير أعلام النبلاء، ط : 2 . 1402 هـ / 1982 م، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .

محمد الطاهر الرزقي :

ـ قراءات في مجتمع المدينة المنورة من خلال الموطأ، ط : 1، 1419 هـ / 1998 م، مكتبة الرشد، وشركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية .

الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن البيع :

ـ معرفة علوم الحديث، ط : ؟، ت : ؟، تحقيق : السيد معظم حسين، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند .

ـ الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي :

ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ط : 1، 1403 هـ / 1983 م، تحقيق : الشيخ محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

محمد حبيب الله بن مايابى الجكنى الشنقيطي :

ـ دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك، (وهو نظم)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية .

ابن جماعة بدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم :

ـ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ط : ؟، ت : ؟، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان .

محمد بن علوي المالكي الحسني :

ـ فضل الموطأ وعناية الأمة الإسلامية به، ط : 2، 1429 هـ / 2008 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

الزرقاني : محمد :

ـ شرح موطإ مالك، ط : 1399 هـ/1979 م، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

الكتّاني: محمد بن جعفر :

ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة .

ابن رشد (الجد) : أبو الوليد : محمد بن أحمد بن رشد :

ـ المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات . بهامش المدونة. دار الفكر، بيروت، لبنان .